Revista del Centro de Estudios Históricos de Granada y su Reino

NÚM. 2 AÑO 1914 TOMO IV

CORRESPONDENCIA DIPLOMÁTICA entre Granada y Fez. (Siglo XIV)

II

Carta de Abulhachach Yúsuf a Abuinan Fáres reclamando con urgencia su auxilio en defensa de Gibraltar y otras plazas vecinas.

Una vez más y con mayor angustia hubo de solicitar el sultán granadino Yúsuf I de su colega de Fez, Abuinan, urgentes socorros, en particular para la defensa y sostén de Gibraltar, seriamente amenazado yá por el ejército de Castilla. Tal es el motivo principal de la carta siguiente que haciendo excepción, por fortuna, entre la mayoría de las contenidas en los códices mencionados de la Biblioteca del Escorial, lleva expresada la fecha de 28 de Junio de 1349.

En la nueva carta sobre el asunto de referencia no es incitado Yúsuf, como en su interior, a pedir auxilio a Abuinan por las noticias de movimientos militares dentro del país enemigo, que llevan la alarma y el temor seguro de una invasión próxima a ser realizada contra las plazas muslimes. Los motivos son ahora más graves: el rey de Castilla, que no era otro que Alfonso XI, le había invitado a mantenerse neutral dentro de las ciudades propias de su reino en la campaña que emprendía contra Gibraltar y las otras plazas que se tenían por los Meriníes de Fez. Inútilmente había protestado Yúsuf de los propósitos del rey castellano como contrarios a los pactos convenidos, hasta que perdida toda esperanza, fuera de Dios, y rehusando las proposiciones que le hacía el rey infiel, había quedado cortada entrambos toda negociación. Rotas las hostilidades, los enemigos se habían precipitado sobre los pueblos del Islam,

llevando a éstos el terror y la devastación. Todo su esfuerzo era insuficiente para contenerlos. Urgía en extremo que Abuinan enviase socorros para la defensa de las plazas asediadas por el enemigo y en riesgo inminente de caer en sus manos. He aquí el texto y versión de la carta, cuyo motivo acabo de expresar y en que suprimo las partes supérfluas de mera salutación y cortesía.

وكتبت عن امير المسلمين ابى الحجاج رحمه الله في الغرض المذكور...
والى هذا[1]) وصل الله لكم (ابى عنان) سعدا جديدا وعزا في شان هذه
البلاد التي عظمت فيها غربة الاسلام وانقطاعه ، وتوجهت الى استيصال رمقها
امال الكفر واطماعه ، وتمطّى عليها الصليب فامتدّ ذراعه ، وتقدم باعه ، وفى
الله كفايته وبالله دفاعه ، وكتبنا نقصّ عليكم من آثار سلفكم في هذه البلاد
احسن القصص ، ونستدرّ لها من سحايب تلك العوايد ، المستغاثة في
الشدايد ، ما فيه ان شاء الله شفاء الغصص ، ونهزّ اليها اعطاف تلك الهمم
الشريفة ، ونمدّ عليها ما تقلص من اهداب ايالتها المنيفة ، ونعرض ما
اعضل من ادوايها على نظر الاسى الطبيب ، ونستنصر على عدوها الباغى
بالوالى الحبيب[2]) ، ونأتى[3]) فى التماس اعانتها[4]) البيوت من ابوابها ، ونطلب
الصرخة والاعانة من اربابها ، ونندب[5]) الى صفقة الفخر من هو اولى بها ،
فلم تخفق والحمد لله مساعى القلوب الخافقة ، ولا كسدت بضايع الحمية
الالاهية في اسواقها النافقة ، وافاقت الاوجال بمكارمكم الفايقة ، وتعلقت
الامال باذيال مواعيدكم الصادقة ، وتجلّت بثنايا الجبل عصمه الله غرر صنايعكم
الباسمة الباسقة ، وظهرت به طلايع فضايلكم المتوالية المتناسقة ، ولما راى
الطاغية قصمه الله ان دولة الاسلام قد استانفت شبابا ، وان الله فتح لنصر
هذه الجزيرة بابا ، وهيا لبقاء كلمة التوحيد في قطرها الوحيد اسبابا ،
رام معاجلة الحكم قبل احكامه ، وشره الى اطفاء نور الله الذى وعد باتمامه ،
وابتسل العزة التى حام عليها طمعه ، ورضى مفقصة الغدر[6]) في جانب ما

1) Cód. 1825 (B), fol. 94 y sigs.; y 506 (C) fol. 151 v.: salvando las partes de la epístola de meras salutaciones. 2) Falta en C desde وكتبنا. 3) En B ونأتى. 4) En C اعانتها. 5) En C ونطلب. 6) Si he leido bien las dos últimas palabras que carecen de puntos en sus letras.

يحذره من الاتصال بكم ويتوقعه ، واوقع في بلاد السلم نار الحرب ، ولم يثن عزمه صدّ والطاعون عن اقامة الطعن والضرب ، وكذب بالساعة التي...[1]) عليه شمسها من الغرب ، ورمى هذه البلاد الساحليّة بشرّ ثوب شره ، وصيرها فريسة بين غربان بحره وعقبان بره ، وسدّ فرضة باساطيله ، وراع الاسلام برعيله ، واستقبل بلاده التي لا قبل له بقبيله ، ودهم الجهة التي بادرت الى الاعتصام بحمى ملككم ، والانتظام في سلككم ، والبلاد التي امنت تحت ظل دولتكم ، وامتنع ذمارها بعز صولتكم ، على حين شمت بسبب الفترة موارد ارفادها ، وتقررت موافق حماتها وانجادها ، وخيم الاضطرار والافتقار بين هضابها ووهادها ، ونقص هذا الامر الذي اصاب الارض من اعدادها ، وصرف اليها اهلاكه[2]) عباب سيله ، واجلب عليها برجله وخيله ، وسحب على ارجائها فضول ذيله ، وحجب الضياء عن افاقها المشرقة بظلام ليله ، فكم حمى مصون بها قد استباحه ، وربع مربع قد اجتاحه ، وحريم محرّم قد اباحه ، ومن وكل باقتضايه ظباه ورماحه ، وشمل جميع ادار عليه شمول الفراق وحثّ اقداحه ، ومصلّى نصب فيه تماثيله المضلّة واشباحه ، وعقاب حصن هاض جناحه ، واطفا مصباحه ، جهلا منه اماته الله واغترارا ، وعتوا في الارض واستكبارا ، وظنّ ان حبل الاسلام قد دهى ببتاته ، وشمله قد رمى بشتاته ، وحق الدين قد اغفل رعي متاته ، وان ذلك الملك لا ينجد هذا القطر في الشدايد بعزماته ، ولا عليه ما اعتاده من تفريج كربه ورفع ازماته ، وما كان ذلك المقام لينسى البعيد من بلاده بالقريب ، ويستقبل بالاهل المتعاهد منها عن الغريب ، وصراخه يتصل بها على بعد المدا ، ومنابرها تستجير بها من صرف الردا ، وبهتان العدا ، يابى الله ذلك والحمية الدينيّة ، والمملكة المرينيّة ، والجنود المجنّدة ، والصفايح المهنّدة ، والجياد الصاهلة ، والمعاهد الاهلة ، والمراكب الهايلة ، والرماح المتمايلة ، والاساطيل السابحة ، والمتاجر الرايحة ، والاموال التي لمثل هذا العرض تذخر وتقتنى ،

1) Espacio vacío en B. como de una palabra que se dejó en blanco. 2) En B اهلكه.

والمعالي التي على مثل هذه الدعايم يجب ان تبنى ، والهمم التي لا ترضى بنعيم اهل الدنيا ، ما لم تكن كلمة الله هي العليا ، ولم يعلم ان الاسلام لو طرقته داهية الكفر ببعض اقطاره النازحة وآفاقه ، او كلب عليها الصليب باقصى شامه او عراقه ، لهذه الى استصراخ البلاد المعزمية القصد الاول ، وكان له على نصره من بها من المسلمين المعول ، لما عرفوا به من الحميّة ، والنفوس الابيّة ، والهمم التي لا ترضى بالدنيّة ، فكيف بهذا القطر الذي جناح ملككم عليه ممدود ، وتاج فخركم بالجهاد فيه معقود ، وغزوكم على اعدايه مقصور وبابكم بآماله مقصود[1]) ، لم يستروح نسيم الفرج على توالي الحجيج[2]) الا من مهبّات نصركم العاطره ، ولا شام بارقة السقيا الا من خلل سحايبكم الماطره ، ولا اختال الا في حلل صنايعكم الفاخره ، ولا تقلد الا درر مكارمكم النافقة في متاجر الدنيا والاخره[3]) ، والملل والحمد لله الذي[4]) لم يبرح عن محلّه ، ولا انتقل عن اهله ، ولا تقلص مديد ظله ، انما هي نصبة سعيدة لم تختلف احكامها على اعادة تعديلها ، ونسبة كريمة لم تتغير مع تبديلها ، واسود لم تزل عن غيلها ، وجياد تجري على اعراق قبيلها[5]) ، ولما[6]) رأينا ان هذا الطاغية اهلكه الله[7]) قد جمع في ميدان المطامع[8]) هواه ، واظهر ما من الغدر نواه[9]) ، وحلّت المطامع[10]) عروة عقده ، وخاصمناه الى حكم الموفق فلم يرجع في اللدد[11]) عن قصده ، وطلب منّا ان نقيم على ما يخص البلاد التي تنظرنا من عموم عهده ، ويتفرغ هو الى ما سوى ذلك باقصى جهده ، وكلنا امورنا الى الله وهو السميع البصير ، ولجأنا الى التوكيل عليه سبحانه نعم المولى ونعم النصير ، ووثقنا بمصارخة ملككم الذي له الصيت البعيد والذكر الشهير ، وامرنا باطلاق الغارات على جميع ما

1) Falta en C toda la parte que precede desde فلم تخفق. 2) En C الحجج. 3) Falta en C desde ولا اختال. 4) Falta esta palabra en B. 5) Falta en C todo lo que precede desde انما. 6) En C فلا. 7) Falta en C desde أن هذا. 8) Falta en B. 9) En B se halla expresada esa frase de este modo: واظهر من الغدر ما كان نواه. 10) En C الاطماع. 11) Faltan las dos últimas palabras en C.

يلينا من بلاده ، وجعلنا يد الاسلام واحدة على دفاعه وجلاده ، حتى تقضى الفروض المتعينة ، ويحيى من حيى عن بينة[1]) ، ونرجو الله ان يخيب صفقة هذا الناكث[2]) الغادر ، ويردّ عليه اسوا الدواير ، وخاطبنا مقامكم الذى هو بعد الله العزة العظمى ، والملجا الاحمى ، نشرح له احوال هذه البلاد المتمسكة باسبابكم ، المنسوبة الى جنابكم ، لتحاولوا علاج دايها ، ودفع اعدايها ، ونطلب من ملككم الذى حاز في المعالى الامد ، ان يعجل اليها الحامية والعدد ، والمال الذي يعدل في جبرها العدد والقوة التى تضعف عدوها ، والرفد الذي تبلغ به مرجوّها ، ويمتعض لحرمتها ، ويرعى ما سلف من اذمتها ، ويتداركها بالعزايم التي تمهد راجفها ، وتومن خايفها ، والمكارم التي تجبر قلوبها ، والصوارم التى تردّ مغصوبها ، فما امّلت الا حمى ذلك ولا اعتمدت الا خلاله ، ولا عرفت فى القديم والحديث الا جيوشه وامواله ، حتى تعود الاحسن احوالها ، وتستانف الحياة رمم امالها ، وتسفر عن وجه جمالها ، وتوغل فى حلل اقتبالها ، فهى حسنة سلفكم الارضى ، ورباب جهادكم الاحضى ، والميدان الذى لا تزال الهمم الملكية تسابق الى غايته ، والايدى العالية تمتدّ الى تلقى رايته ، والوسيلة منهم الى الله التى يستزيدون بنصرها من مواهب نصره وعنايته ، وانتم سلالة ذلك المجد ، وبدر افقه الباهر السعد ، واولى من يعامل الله فيها بنصر الحق وانجاز الوعد ، فحققوا امل الاسلام في علاكم ، واستبقوا في ميدان النصر ما تدل عليه حلاكم[3]) ، كتب الله في اعنتها الماثر تتلى ، وجدّد لكم به المفاخر التى لا تبلى[4]) ، وسلك بكم من مرضاته الطريقة المثلى ، وجعل سعيكم الارضى وملككم الاعلى ، وانّنا اوفدنا على بابكم لتقرر هذه الاحوال ، واستصراخ ملككم الشامى الجلال[5]) ، من يشرح لكم جزئيّات الامور ، ويحرك عزمكم لانجاد هذه الثغور ، ويمثل لكم الحال في صورتها ، ويبين لديكم قدر ضرورتها[6]) ، وهم الشيخان

1) Falta en C desde وطلب منا. 2) En B الناكث. 3) Falta en C desde وخاطبنا. 4) La última frase falta en B. 5) Falta en C desde وانّنا. 6) Con esta palabra termina la carta en C.

الفقيهان الاستاذان القاضيين قاضي حضرتنا وخطيب حضرتنا أبو فلان وأبو فلان والقايد ابو فلان ولمقامكم الفضل في الاصغاء لما يلقونه اليكم ، ويقصّونه عليكم ، يكون ذلك من جملة ما نعتده من مكارمكم الجافلة ، وشممكم الظاهرة الفاضلة ، والله عز وجل يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته وفي اليوم العاشر لشهر ربيع الاخر من عام خمسين وسبعماية.

Y escribí de orden del emir de los muslimes Abulhachach—Dios se apiade de él—con el mismo propósito referido (al sultán Abuinan Fáres).

...Y a esto- Dios os acuerde una felicidad reiterada y un poder grande en el negocio de estas ciudades, en las cuales es yá grave la expatriación del Islam y su retroceso, las esperanzas y anhelos de los infieles se dirigen a extinguir sus rebaños de ovejas, sobre aquéllas se extiende la cruz de los cristianos y dilata sus brazos y avanza su braza. Mas en Dios está la defensa y protección contra ellos.

Os escribimos a fin de exponeros los mejores recitados de las proezas de vuestros mayores en estas ciudades, para hacer que cayese sobre ellas de las nubes de aquellos beneficios implorados en los trances de apuro, todo aquello en que, Dios queriendo, estará el remedio de estos ahogos; para procurar que se inclinen hacia ellas los lados de esos propósitos nobles; para que se extienda sobre ellas lo que ha sido arrugado de las franjas de su gobierno dominante; para facilitar lo que de las enfermedades de ellas se presente difícil a la inspección triste del médico; para pedir auxilio contra su enemigo que oprime al colega querido; para hacer que se abran a la demanda del auxilio de ellas, las puertas de las casas; para pedir socorros y auxilios de sus magnates e invitar a la adquisición de la gloria en buen mercado, a cuantos sean grandes en esa región. Y no palpitaron de pena—y la alabanza sea para Dios,—los corazones trémulos, y la cólera divina no hizo malo el comercio en los zocos acreditados de aquéllas. Se desvanecieron los temores por virtud de vuestras excelentes liberalidades, quedaron las esperanzas pendientes de los extremos del manto de vuestras promesas sinceras, brilló en las gargantas de la Montaña (Gibraltar)—Dios la conserve—la nueva luna de vuestras acciones, sonriente y alta, y aparecieron en ella los resplandores de vuestra espaciosa llanura continuada y puesta en buen orden.

Cuando vió el infiel—Dios le destruya—que el poder del Islam se rejuvenecía, que Dios había abierto una puerta en auxilio de esta península y disponía los medios para hacer perdurable la palabra de la Uni-

cidad en esta región singular, deseó fallar el asunto antes de examinarlo y tuvo ansia de apagar la luz de Dios, cuya permanencia El tiene prometida. Persistió en obtener el poder que ambicionaba, empleando con preferencia la perfidia en lo que miraba de reojo de nuestra alianza con vos y en lo que se le ofrecía favorable, y encendió el fuego de la guerra en las ciudades de la paz. Ningún obstáculo le aparta de su firme resolución, ni a la peste de continuar sus ataques y golpes..... Lanzó sobre esas ciudades costeras el mal de su avidez y las ha convertido en presa entre los límites de su mar y los confines de su tierra. Ha cerrado el estrecho con sus escuadras y atemorizado al Islam con sus bandas de caballería. Se ha puesto en frente de las ciudades que no le han dado caución, maltratando a aquella parte que corrió a la defensa de vuestro imperio y a ponerse ordenadamente en vuestro camino. A las ciudades que vivían tranquilas bajo la sombra de vuestra autoridad, les entorpece el derecho que gozaban por el poder de vuestra fuerza al tiempo que por causa de la tregua, florecían los abrevaderos de sus beneficios y se consolidaban las ventajas de su defensa y auxilio. La necesidad y la indigencia han levantado sus tiendas en los montes y llanos de esas ciudades. Este suceso ha disminuido las fuerzas de la tierra sobre que ha recaído, las ondas devastadoras de su torrente le han llevado la destrucción; pues aquél ha hecho incursiones en ella con sus infantes y caballos, ha arrastrado sobre sus comarcas la excesiva cola de su manto y ha ocultado el resplandor de la luz en sus horizontes por la tenebrosa oscuridad de su noche.

¡Y cuánto de lo que es preservado ha sido entregado al saqueo! ¡Cuánta morada de las mansiones ha sido destruída y cuanto harem sagrado ha sido dado al pillaje! A quien confió su justicia a las puntas de sus flechas, a los hierros de sus lanzas y a la reunión de la totalidad, le circularon las copas del vino de la separación de los amigos y le ofrecieron los vasos con excesiva rapidez. El orante se hizo en aquella noche sus ilusiones e imaginaciones ficticias; al águila de la roca quebró las alas y apagó su lámpara sin cuidarse ni preocuparse de ella —Dios le haga perecer, —mostrándose fiero y soberbio en la tierra y pensando que la cuerda del Islam se había quebrado, que se hubiese dispersado su unión, y que el derecho de la religión había olvidado la guarda de los lazos del parentesco.

Aunque esa Majestad no auxiliase a esta comarca en los infortunios con sus firmes resoluciones, ni según es su costumbre, procurase disipar sus tristezas y necesidades, no podría olvidar ese Estado a lo distante de sus ciudades por atender a lo cercano, ni dejar de acoger al extranjero de ellas por sólo cuidar de los nacionales, cuando en aquéllas conti-

núan los gritos de socorro hasta larga distancia y sus cátedras imploran protección contra el ataque de la fuerza y la falsedad enemiga. Esto lo rehusaría Dios y el honor de la causa nacional, el imperio merini, los ejércitos alistados, los sables de excelente acero, los corceles relinchantes, las reuniones populosas, los navíos temibles, las lanzas que se balancean en la marcha, las flotas veloces, los mercados placenteros, los bienes que para tal propósito son atesorados y consumidos, las fortalezas que sobre semejantes columnas es obligatorio que sean levantadas y los negocios graves que no hacen tranquila la vida de la gente del mundo, como no sea la palabra de Dios que es el más principal negocio.

No sabe aquél que el Islam, aunque la gran calamidad de los infieles penetre en alguna de sus comarcas u horizontes lejanos, o fuese trasladada la cruz a su más remota Siria o al Yrac, ciertamente tiene por primer objeto acudir a las voces de socorro de las ciudades fieles a sus juramentos y habrá en su auxilio a todos sus muslimes cuya asistencia sea demandada, por lo que saben que hay en él de protección divina, de nobles almas indomables y de puros intentos que no son satisfechos con la vileza.

¡Cuanto más en esta región sobre la cual se hallan extendidas las alas de vuestra Majestad, a ella impuesta la diadema de vuestra gloria en la guerra santa, vuestra campaña dedicada particularmente a combatir a sus enemigos, y vuestra puerta teniendo por propósito las esperanzas de ella! No aspiraría el suave céfiro de la alegría por la continuación de los testimonios prometidos, si no viniese de las partes de donde sopla vuestro auxilio; ni observaría los resplandores de la irrigación, a no ser de parte de vuestras nubes que derraman abundante lluvia; ni caminaría con arrogancia, si no fuese bajo los mantos de vuestras hazañas; ni se pondría collar alguno a no ser las perlas de vuestras liberalidades bien acreditadas en los mercados de esta vida y de la futura.

El reino -- y Dios sea alabado — que no abandonará su asiento, ni será trasladado de su gente, ni se disminuirá la extensión de su sombra, es únicamente una estancia levantada feliz, cuyos designios no contradicen la reiteración de su equidad; una noble relación que no sufre mudanza a pesar de sus cambios. Y los bravos leones no cesarán en sus valles y los nobles corceles correrán por los caminos de su parte!

Cuando vimos que este infiel (el rey de Castilla) había reunido ya sus apetitos en el hipódromo de las ambiciones, manifestando la perfidia que guardaba, y que la avidez había soltado el asa de su collar, entablamos la oportuna querella sobre el cumplimiento de lo pactado; más en la disputa no retrocedió de su propósito. Antes bien; pretendió de

nosotros que nos mantuviésemos al cuidado de las ciudades que nos fueron apropiadas en lo general de su pacto, para poder él extender sus ramificaciones hasta lo más remoto fuera de aquéllas. Mas nosotros hemos puesto nuestros asuntos en manos de Dios que es el que todo lo oye y ve, y nos hemos acogido a su mediación, alabado sea, verdadero señor y verdadero auxiliador. También hemos confiado en que vuestro Estado de fama distante y de célebre recordación, escucharía los gritos de socorro, y hemos ordenado que se dé rienda suelta a las algaradas contra las ciudades que nos son confines, y hemos hecho que la mano del Islam sea una para rechazar y batir al enemigo infiel, a fin de que se cumplan los preceptos establecidos y quien viva, ruja avergonzado por la evidencia. Y esperamos de Dios que hará fallidas las esperanzas de la convención de ese pillo pérfido y que se vuelvan contra él los más malos reveses de la fortuna.

Escribimos a vuestro Estado que, después de Dios, es el más grande poder y el refugio de mayor defensa, para exponeros las circunstancias de esas ciudades pendientes de vuestras cosas y afectas a vuestra Excelencia, para que procuréis poner el tratamiento curativo de la enfermedad en ellas y combatir a sus enemigos; para pedir a vuestra Majestad que posee el límite en la nobleza, que enviéis prestamente a ellas los defensores, municiones y dinero con cuya remesa queden equiparadas las fuerzas y el poder que ha duplicado su enemigo; los socorros en que pusieron aquéllas sus esperanzas, los cuales bien vale la pena de enviar por su honor, y son debidos a las promesas hechas a ellas; para que de esta suerte les lleguen las firmes resoluciones que tranquilicen a los que en ellas tiemblan y lleven la seguridad a sus tímidos, las acciones generosas que calmen sus corazones, y los sables que rechacen su opresión tiránica.

No tienen estas ciudades otra esperanza que ser defendidas por esa Majestad, no tienen otro apoyo que sus armas y no conocieron en lo antiguo y en lo moderno más que sus ejércitos y sus riquezas para volver a sus mejores circustancias, para que se renovase la vida de las hormigas aladas de sus esperanzas, se descubriese la belleza de sus rostros y volviesen a revestirse de sus mantos. Ellas fueron la buena obra más satisfactoria de vuestros mayores, el estribo de vuestra guerra santa, el hipódromo por cuya meta no cesaron de rivalizar las preocupaciones de los reyes y de cuya bandera al encuentro se extienden las manos nobles. Ellas son también la recomendación de aquéllos cerca de Dios, cuyos dones de auxilio y providencia acrecientan con su ayuda a ellas.

Y Vos que sóis la nata de aquella gloria, la luna nueva de su horizonte,

de brillante augurio feliz, y el primero con quien Dios trató del auxilio debido a ellas y del socorro prometido, realizad la esperanza del Islam en vuestra alta nobleza y llegad a la meta en el hipódromo de un auxilio por el cual quede significado vuestro ornamento. — Quiera Dios concederos en el auxilio a ellas prestado hazañas continuadas, renovar para Vos las acciones gloriosas imperecederas, brindaros por su satisfacción el más perfecto camino, aceptar con agrado vuestro esfuerzo y ensalzar vuestro reino!

Nos enviamos a vuestra Puerta, para que ratifiquen estas circunstancias y pidan auxilio a vuestra Majestad de alta excelencia, quienes os expongan al detalle los asuntos, muevan vuestra firme resolución a auxiliar estas fronteras, os representen la situación de cosas en su imagen y os manifiesten toda la fuerza de sus calamidades. Ellos son los dos jeques, alfaquíes, doctores y cadíes, el cadí de nuestra corte y predicador de nuestra corte, Abufulano y Abuzutano, y el alcaide Abufulano.

Vuestro excelente Estado acogerá benevolamente lo que os revelen y refieran, según todo lo que esperamos de vuestras generosas acciones y sentimientos puros y nobles. Y Dios, que es poderoso y excelente, haga perdurable vuestra fortuna y guarde vuestra gloria. Y la salutación noble sea sobre vos y la misericordia de Dios y sus bendiciones. Fué escrita en el décimo del mes de Rebia segundo del año setecientos cincuenta (28 de Junio de 1349).

III

Fragmentos de cartas de Abulhachack Yúsuf a Abulhásan Alí, con algunas referencias acerca del estado de cosas en España

El primero de estos fragmentos pertenece a una de las cartas copiadas por Almaccarí e impresas en su célebre enciclopedia histórico-literaria de los árabes de España (1), y esta circunstancia me excusa de publicar su texto arábigo. No aparecen consignados los nombres del autor y destinatario de la carta de referencia en la edición mencionada de Almaccarí. Mas tales detalles se hallan expresados en el códice 1825 (B) de la B. del Escorial (2). En uno y en otro lugar han sido omitidas las fechas; pero del contexto se infiere que hubo de ser escrita la carta en cuestión hacia el tiempo del sitio puesto a Gibraltar por Alfonso XI de Castilla y de la guerra civil suscitada allende entre el mismo Abulhásan y su hijo Abuinan. El fragmento que puede ofrecer interés para nuestra historia, de la carta referida, es como sigue:

Y en estos días se han oscurecido las nuevas, los enemigos se han precipitado sobre la tierra y el mar, se han perturbado las estaciones y los vientos y se han detenido los que hacen descender las lluvias generosas. Mas con todo esto no ha sido desvanecida (3), por virtud de Dios, la esperanza. Ciertamente procuraríamos unirnos con Vos o marchar en vuestro auxilio, si no nos embarazasen la distancia que existe entre nosotros, y el enemigo que (4) en estos mismos días ha levantado su real y se ha hospedado en nuestro propio patio. Sucedía que vuestro servidor... Abumohámed, hijo de Alhana había llegado a nuestra puerta y venido a unirse a nuestro lado, para que de nuestra parte le fuese próspera su llegada y fácil con nuestro auxilio su propósito deseado. Y en tanto que Nos veíamos la manera de que su intento tuviese perfecta realización y de auxiliarle en el cumplimiento de su empeño, nos llegó la noticia de las dos carracas, de las naves cuyo auxilio habéis suplicado para la jornada, de las cuales, unido el esfuerzo con la bendición,

1) T. II, ٢٢٣. 2) Fol. 111. 3) En cód. B se añade ينقطع ذلم que falta en el texto de Almaccarí 4) En B الذي que falta en el texto impreso.

una arribó al puerto de Almuñécar y otra al de Almería en alas de la providencia divina. Hemos obtenido de los que han venido en aquéllas, nuevas ciertas que antes habían sido confusas, y noticias cuya referencia hace innecesaria su conjetura, y hemos sabido vuestra firme resolución para la campaña y para vuestra expedición militar asistida por la felicidad y el triunfo. Vos habéis consultado a Dios vuestra unión con las comarcas de las cuales el temeroso confía su seguridad en vuestra venida que será recibida familiarmente por las bandas de aquellas, tranquilizará al tembloroso de ellas, pondrá en buen orden sus circunstancias y endulzará (1) sus infortunios. Vos habéis adelantado su jornada diez días que muestran la firme resolución, la felicidad abundante, la prosperidad de limpia huella y la flota victoriosa...

. . . . . .

Cuando nos llegó esa noticia corrimos a cumplir la promesa que habíamos hecho a vuestro servidor referido y a aprovecharnos de la ocasión de esa felicidad para unir su causa a las vuestras y ejecutar prontamente su adhesión a vuestra Excelencia. Y por estos servicios que esperamos que Dios haga prósperos y cuyas puertas abra por vuestra sana intención, yá hemos hecho presente (a vuestro servidor) nuestra emoción hacia ese Estado al cual profesamos noble afecto y hacemos llegar a pesar de la distancia, de visita, y perfumados aires de las comarcas por causa de la confianza en él, lo que no son bastante para expresar la pluma y la tinta; le hemos hecho saber de todo esto lo que transmitirá a vuestro Estado de alto sostén y hemos escrito a los que se hallan en las costas de nuestro reino marcándoles lo que deben saber respecto de la buena acogida que han de dispensar a los que vengan a ellos de parte de vuestra ilustre Paternidad.

...Y sabe Dios que Nos si no nos impidiesen grandes obstáculos y muchas dificultades y los enemigos por los que es atormentada ahora esta península, no preferiríamos obra alguna a unirnos con Vos y juntarnos en vuestra causa para que cumpliésemos lo que es debido a vuestra ilustre paternidad e hiciésemos brillantes los caminos de la alegría...

***

El fragmento siguiente pertenece a otra carta comprendida en el citado códice 1825 (B) cuyo autor y destinatario no se expresan, ni tampoco su fecha; pero del contexto y de la circunstancia de llamar el autor al destinatario *Alteza a quien tengo como padre,* hay que inferir

1) En B ويخلص por ويسلس que repite el texto impreso.

que sea de Yúsuf a Abulhásan y del tiempo de la anterior. He aquí el texto y versión de su parte más interesante:

.....وخاطبناكم[1]) في كتابنا هذا نشكر في التعريف فضل مجدكم ، ونحمد الله على ما كيّفه من سعدكم ، ونسئله ان يبلغكم من عنايته تمام قصدكم ، ونقرر لديكم ما عندنا من التشيع الذي موارده على كدر الزمان صافيه ، وسجيته على تقلبات الاحوال ثابتة وافيه ، وان ذهب مقامكم حرس الله اكناف جلاله ، الى ما يخصّ هذا القطر من احواله ، فان سلطان قشتالة اصابه مرض افضى به الى زمانة مقعدة . . .[2]) واهل هذه البلاد المنقطعة قد انسوا بوحشة عدوهم ، وشموا بارقة الامن في رواحهم وغدوهم ، ويرجى ان يكمل الله سرورهم ، ويشرح صدورهم ، بما يتصل بهم من وفود نعم الله لديكم ، وتوالى غمام السعادة عليكم ، وجهة الغرب ليس عندنا فيها زيادة على ما وصفتم ، وما حدث ببعض جباله تعرفتم ، وما أشرتم به في قضية من بالمرية حرسها الله من خدامكم فلم يمنعهم من اللحاق بمقامكم الا ما يحذر من غايلة البحر الذي عدوه في الوقت موفور ، واقتحامه مخوف محذور ، والله تعلى يمن بجمع كلمة الاسلام ، ويعرف اهله ما عوّد من نعمه الثرّة والايه الجسام..... ،

Y os contestamos en esta carta para conmemorar el reconocimiento de la excelencia de vuestra gloria, para alabar a Dios por la felicidad con que os ha calificado, para suplicarle que por su providencia os haga conseguir la realización perfecta de vuestro propósito y para ratificaros cuanta es en nosotros hacia Vos la adhesión cuyos abrevaderos, apesar de lo revuelto del tiempo, son puros y cuya naturaleza en medio de lo versatil de las circunstancias, se mantiene constante y perfecta. Vos sabéis bien cuanta es nuestra ratificación respecto de ese particular hacia vuestro Estado, con la alabanza de Dios. Si vuestra Alteza, —Dios guarde las alas de su Majestad—piensa en las circunstancias especiales de esta región, al Rey de Castilla ha querido Dios que le sorprendiese una enfermedad crónica y le reduzca a la impotencia —..... y las gentes de estas ciudades aisladas han olvidado yá el temor a sus enemigos y observan los relámpagos de la seguridad todas sus tardes y mañanas esperando que

1) Cód. 1825 (B) (fol. 113 v. 2) Borrado o vacío medio renglón.

Dios complete su alegría y ensanche sus pechos con lo que a ellos afecta, del envío de los beneficios divinos hacia vos y de la continuación de las nubes de la felicidad sobre Vos. Respecto de la parte occidental, no tenemos más noticia que lo que hacéis saber y lo que informáis sobre la nueva situación en una de sus montañas. En cuanto a lo que indicáis del asunto de vuestros servidores que se hallan en Almería —guárdela Dios— no ha podido impedirles de juntarse con Vos, otro inconveniente, a no ser el guardarse del peligro del mar cuyo enemigo en la actualidad es numeroso y sus sorpresas terribles y de mucho cuidado. Mas, Dios que es alto, se mostrará favorable en todo el Islam y otorgará a su gente los dones copiosos y grandes beneficios que en El son habituales».

***

El fragmento que doy a continuación, pertenece a otra carta de Yúsuf a Abulhásan Alí, cuyo nombre se expresa claramente. Es de carta sin fecha, como las anteriores; pero su texto revela que aquélla fuese escrita hacia el mismo tiempo de referencia. Hélo aquí (1):

.... وانى غذا وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، فقد ورد علينا كتابكم المبرور ، وخطابكم المسفور ، . . عرّفتمونا فيه بما خوّل الله سلطانكم من اعواز التجانب ، واغداب المشارب ، وانجلاء الغيهب ، وانتشاء الجيوش واجتماع الكتايب ، وان الدهر وقف بين يدى مقامكم موقف التايب ، والسعد قد ابدى لكم وجوه العجايب ، وان قبايل تلك البلاد دخلت في دين الله باتباع دعوتكم المرضية افواجا ، وسلكت من التقوى وانير منهاجا ، وراجعت البصاير الصادقة ، واثرت النعم السالفة السابقة ، وشمرت اشياخها الى المناصحة تشهير الاحرار ، وتبادروا الى المبادرة عن حمى سلطانكم ايام الابتدار ، ويذلوا العزايم التي حكمت لكم بالاعلاء والاظهار ، والعز الذي جنوا اغتانه من اغصان الذوابل واوراف الشفار ، وان مقامكم لمن يلحق برتبه العلى من وفود العرب على قدم الانتظار ، وقد كنّا تعرّفنا من كتابكم الوارد قبله بما سنده الله لمقامكم العلى من انساف سعده وانتظامه ، واستيناف عزه وابلاء ايامه ، واشتمال شمله على الاميرين المكرمين اخويكما اسعدهما الله وانتظامه ، ثم عظم الابتهاج بمضمون كتابكم هذا الذي قاد الينا السرور

(1) Cód 1825, fol 110 v.

بوصمه . . ، ونحن نقرر لديكم ما لدينا من المسرّة بعصمة مقامكم الرفيع ، ونشكر الله على ما أسداه من حسن الصنيع ، ونهنيكم بتيسير العز المنيع ، والشمل الجميع ، ونرتقب للاسلام ببركة نيتكم الصالحة للاسلام ، وخواطركم الصافية السهام ، في اخذ الله تعلى طاغية قشتالة اشدّ ما كان طغيانا ، وانه سبحانه ارانا فيه عجايب قدرته عيانا ، له الحمد على نعمه التي لا نطيق لها حسبانا ، والايه المتواترة مثنى ووحدانا ، وهو سبحانه الكفيل بان يصل للجميع عوارف فضله ، ويسلك بنا من اعانته واسعاده اوضح سبيله ، ووقفنا على ما اشرتم عليه في الاجفان الغروية الثلاثة وما تعرفتم عن خبرها ، وخاطبكم به خدامكم من سفرها ، والذي عندنا في ذلك هو ان الخواطر ما برحت بما يرضى مقامكم الكريم معموره ، والامال في ميدان بركم ممدوده وعليه مقصوره ، الا ان العوايق عديده ، والاحوال أزمانها شديده ، والايام في ليّها بالاماني مبدية معيده ، وفيما سلف كانت الاساطيل المدمرة تسدّ المسالك ، وتقطع ما يراد من ذلك ، ولما كفى الله تعلى شره ، ودافع ضره ، تعرّفنا الان ان احفان سبتة عمّر منها الى مرسى الجزاير سبع قطعات ما بين صغير وكبير ، تحققنا خبر انصرافها الى جهاتكم عصمها الله من خبير ، وهذه ايدكم الله موانع لا تخفى اعذارها ، ولا يجهل مقدارها ، والقلوب بعد لما تقتضيه المودة الكريمة جانحه ، والامال في ميدان ذلك غادية ورايحه ، وعندنا منه ما ان ذهبنا الى تقريره ، ضاق ذرع البراعة من شرح يسيره ، فضلا عن كثيره ، لاكن العلم باصيله وشهيره ، يغني عن بسط وتفسيره ، وقد حضر بين يدينا كتابكم الينا خديمكم الانصح فلان وصل الله حفظه ، واجزل من مذاهب السلامة حظّه ، والقينا اليه من جزئيات الاحوال ، ما يلقيه الى مقامكم السامي الجلال ، وما يتزيد عندكم من الانباء فتعريفنا به صلة لعوايد الافضال منكم والاجمال ، والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم والسلام.

«Y a esto—Dios haga duradera vuestra felicidad y guarde vuestra gloria—ha llegado a nos vuestra carta sincera y vuestra alocución

memorable..... en la cual nos hacéis saber todo cuanto Dios os ha otorgado tocante al engrandecimiento de vuestro honor, haciéndoos dulces las bebidas, disipándoos las tinieblas, reuniendo vuestros ejércitos y congregando vuestros escuadrones.

Verdaderamente, la fortuna ha comparecido ante Vos en actitud de arrepentimiento y la dicha os ha mostrado sus rostros admirables. Las cábilas de ese país han entrado en la obediencia de Dios, reconociendo en tropel vuestra soberanía satisfactoria, han seguido el camino del temor de Dios y de la amistad sincera; los sentimientos han venido a ser verídicos y se han renovado los favores pasados, los anteriores. Corrieron los jeques de aquéllas a aconsejar sinceramente como bien nacidos y se apresuraron en su carrera para defender a vuestra Majestad nobilísima; hicieron donación generosa de sus firmes resoluciones las cuales determinaron para Vos la exaltación, el predominio y el poder, de cuyas diferentes especies de ramas se recogen como fruto, las lanzas y las hojas de los sables. En verdad, vuestro Estado cuida con preferencia de aquel de los enviados árabes de pura sangre, que se adhiere a vuestro estribo.

Ya sabíamos por la carta que nos llegó anterior a ésta, todo lo que Dios había beneficiado a vuestro Estado alto, ordenando y engrandeciendo su felicidad, restaurando su poder, mejorando sus días y haciendo suya la causa de los dos emires honrados, nuestros hermanos—Dios les haga felices—y tratándoles con extremada bondad. Después ha sido grande nuestro regocijo por el contenido de esta vuestra carta que nos ha traído la alegría en sus pliegues.....

Nos os certificamos la alegría que nos causa la protección de vuestro Estado alto, damos gracias a Dios por los beneficios excelentes que os concede, os felicitamos por la prosperidad del poder incontrastable y suma bondad a Vos dispensada y esperamos para el Islam con la bendición de vuestro sano propósito la cubierta de un auxilio rápido y la buena ordenación de las fértiles colinas.

Yá os hicimos saber lo que era de preferencia de vuestra intención sana para el Islam y de vuestros puros sentimientos, respecto de que Dios que es alto, causase al Rey de Castilla la más violenta opresión. Y El que es alabado, nos hizo ver con nuestros propios ojos en ello las maravillas de su poder. Sea para El la alabanza por sus beneficios que no podemos calcular, y por sus favores abundantes repetidos e incomparables. Y El—que es alabado—nos garantiza la continuación de los beneficios de su virtud para todos y que seguirá el camino más abierto para auxiliarnos y hacernos felices.

Quedamos enterados de lo que nos indicáis respecto de los tres navíos de guerra y de cuanto nos hacéis saber acerca de ellos y de lo

que os contestó vuestro servidor tocante a la jornada de los mismos. Nuestra conducta en ese particular ha sido tal, que nuestros sentimientos no han cesado de corresponder a lo que pudiera ser grato a vuestro noble Estado, y nuestras esperanzas en ello están mantenidas y concretadas a la sincera amistad que os profesamos. Mas las dificultades han sido numerosas, las circunstancias de nuestros tiempos violentas y los días han torcido los deseos manifiestos y reiterados. En el tiempo que pasó, las flotas destructoras cerraban los caminos e interceptaban de ellos lo que se quería. Y cuando Dios, que es alto, evitó su mal y quitó su daño, hemos podido saber al presente que de los barcos de Ceuta han sido equipadas con destino al puerto de Argel siete galeras entre grandes y pequeñas, la noticia de cuyo pasaje a vuestras partes —Dios las preserve —hemos podido saber con toda certeza. Y de inconvenientes tales no se ocultan las excusas y no se ignora su magnitud. Y los corazones están inclinados a lo que reclama la noble amistad y las esperanzas van y vienen en el hipódromo de ella. En nosotros respecto del particular es tanto el buen deseo, que es difícil expresar siquiera un poco de él, y más todavía un mucho. Sin embargo, un conocimiento siendo puro y evidente, hace innecesarios el comentario y la interpretación.

Yá nos ha presentado vuestra carta a Nos destinada, vuestro servidor fidelísimo fulano—Dios continúe guardándole y le otorgue su lote en los beneficios de la salvación.—Y le hemos hecho saber los detalles de las circunstancias presentes que él transmitirá a vuestro Estado alto de excelencia. Todas las noticias que más podamos adquirir, su comunicación a Vos irá unida a los repetidos beneficios y favores vuestros. Y Dios haga duradera vuestra fortuna y guarde vuestra gloria. Y salud.»

IV

Dos cartas de Abulhachach Yúsuf a Abulnan Fáres sobre demanda de auxilios contra los cristianos

En ambas cartas se halla omitida la fecha; pero del contexto se infiere que hubieron de ser escritas hacia el año 1349, ante la amenaza del ejército de Alfonso XI de Castilla a la plaza de Gibraltar.

De la primera de las cartas de referencia doy a continuación el siguiente fragmento, que comprende su parte útil para nuestra historia:

وكتبت أيضا في هذا الغرض[1].

.....وإلى هذا وصل الله سعادتكم[2] • وحرس مجادتكم[3] • ووالى النعم عندكم[4] • فإننا تعرفنا في هذه[5] الايام من خدامكم الوافدين علينا بهديتكم ما عندكم من استدعاء الاساطيل المنصورة من محل انشايها • والاستكثار من عدد حركاتها واقتنايها • وان فرض الغرايم شرط[6] في ادايها • واولياء الملة قد تذامرت على اعدايها • وحكماوها قد شمرت الازالة دايها • فسألنا الله اتاحة الخيره • وتكييف الصنايع المتيسره[7] • وبادرنا لسبر ما عندكم من التشوّف الى ما لنا من الاساطيل الجهاديه • والمقاصد الوداديه • فان توفر لكم في الاستعانة بها أرب • او بان في الاحتياج اليها مذهب • نشرع[8] في اصلاحها وتيسيرها[9] • وننظر في ابرام امورها • لتكون مرهفة الحد • اخذة اهبتها قبل القصد • ونعلمكم مع ذلك ان رسولنا اليكم في الايام الماضيه •

1) Suprimo las partes preliminares de esta carta por las razones arriba expuestas. V cód. 1825 (B) fol. 96 y 1712 (A) fol. 30. 2) En A سعدكم 3) En A مجدكم. 4) Falta esta frase en B. 5) En A هذا. 6) En A فروض العرايم شرع. 7) En A المسره. 8) En B نشرح. 9) En A وتفسيرها.

والاشهر المنقضيه ، فلانه لما وصل من لدنكم اوصل في الطعام المعتاد من سلفكم قدسهم الله الى هذه الجزيرة وعدا ، وانهى اليدا[1]) اجتهادا في امره وجدّا ، وانكم جددتم من حسنات بيتكم عهدا ، فاوريتنا في البشر زندا ، واوضحتنا في الثناء قصدا ، وقد كانت عادة والدكم ازلفه الله اليه ، وجدد ملابس الرحمة والرضوان عليه ، ان يصدر عنه مكتوب بمقدار ذلك الامداد ، وتعيين مواضعه من ساحل[2]) البلاد ، ونحن نؤمل[3]) أن تسلكوا ذلك العمل[4]) في سبيل الجهاد ، وتتخلدوا من الاعمال الصالحة ما يجده من يؤمل حسن المعاد ، اذ برّكم يدلّ على سبيل الوداد ، ورسم الاعتقاد ، ووجهنا من بقرر لديكم ما عندنا من جميل الولا ، في اخوتكم الرفيعة العلا ، ويتقدم بين يديكم في هذه الاشيه ، ويجري من تبيين الاخلوص على سبيل التسوا ، وهو السيد الاجل المعظم[5]) ابو فلان ، وصل الله كرامته ، وكتب سلامته ، ومكارمكم توسع بقدوم الصدور انشراحا ، وتبلغ من اسواء ما توجّه بسببه افتراحا ، والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، ويضاعف نعمه عندكم ، والسلام الكريم يخصّ مقامكم الاعلى ، واخوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته وكتب في كذا[6]).

También escribí con idéntico propósito..... «Y a esto—Dios haga perdurable vuestra felicidad y guarde a vuestra Nobleza—Nos hemos sabido en estos días por vuestros servidores enviados a nosotros con vuestro presente, cuanto estáis en llamar las flotas victoriosas de sus arsenales, en aumentar sus dotaciones y adquirirlas. Y en verdad, puestas las obligaciones es condición que se cumplan, y los príncipes de la religión ya se excitaron unos a otros contra los enemigos de ella, y los sabios médicos se afanaron en hacer que desaparezca su estado morboso. Hemos pedido a Dios que se digne determinar su gracia en nuestro favor y hacer que sean prósperas nuestras obras. Y hemos corrido en divulgar vuestro vivo deseo respecto de las flotas de guerra y propósitos de afec-

1) En A اليها. 2) En A سواحل. 3) En A تامل. 4) Falta en B. 5) En A الكذا. 6) En A termina de diferente modo: وصل الله عزته ووالى رفعته ومقدمكم يتفضل بالاصغاء اليه والقبول من ذلك على ما لديه والسلام.

tuosa amistad que tuviésemos nosotros. Y siendo creciente para Vos el deseo de auxiliarse de ellas y evidente vuestro plan de su necesidad, anunciamos la reparación y expedición de las referidas flotas, y atendemos con cuidado a fortificar todas sus cosas, para que sean con las puntas afiladas y con todas sus municiones antes de la partida. Os hacemos saber juntamente, que vuestro embajador a Nos en los días pasados y en los meses transcurridos, fulano, cuando vino de vuestra parte, presentó al tiempo del banquete acostumbrado, vuestros préstamos prometidos —Dios los santifique—a esta peninsula, haciéndonos conocer vuestro esfuerzo y asiduidad respecto del asunto. En verdad, sóis Vos quien renováis las bondades del tiempo de vuestra casa. Y batimos el pedernal en vuestro agradecimiento y dimos pruebas manifiestas de elogio a Vos. Fué costumbre de vuestro padre—quiera Dios acercarle hacia sí y renovarle las vestiduras de su misericordia y satisfacción—redactar un escrito con el importe de estos socorros y la exposición de los lugares de pasaje de la costa de las ciudades. Nosotros esperamos que Vos caminaréis asi en el sendero de la guerra santa y perpetuaréis de las buenas acciones todo lo que aquel que espera, encuentre como mejor costumbre. Os recordamos esto meramente por afecto y amor, y os enviamos quien os ratifique nuestra amistad sincera a vuestra muy alta Fraternidad y hable en vuestra presencia acerca de estas cosas y siga en la revelación de nuestra sinceridad de sentimientos, por la senda más recta. El es el alcaide, muy excelente y noble Abufulano Dios haga perdurable su nobleza y tenga acordada su salvación—. Y vuestras acciones generosas ensanchan con su presencia los pechos, y causan alegria por la rectitud de su camino seguido. Y Dios haga que sea continuada vuestra fortuna, y guarde vuestra gloria y duplique sus gracias para Vos. Y la salvación excelente tribute a vuestro Estado muy alto y a vuestra Fraternidad muy ilustre, y la misericordia de Dios y sus bendiciones. Fué escrita en tal fecha.

§

No doy a la estampa el texto árabe del fragmento de la segunda carta que sigue, por estar yá publicado en los *Analectes etc., de Almaccari*. En esta edición no aparece expresado el nombre del autor. Mas se halla en el cód. del Escorial 1825 (B), en donde por el sucinto comentario que precede a la carta y por el tratamiento que da al destinatario, se averigua que éste fuese Abuinan Fáres.

La versión del fragmento de la referida carta, que nos interesa conocer, es como sigue (1):

«Os hemos hecho saber que el enemigo en estos días se ha abstenido de las ciudades de los muslimes; pues no continúa su cuerpo de tropas hacia ellas, ni sus agentes prenden para él, ni de su faz se derivan sus dientes, y no sabemos si esto sea debido a alguna estratagema que tenga fraguada, o porque se haya quebrado o dividido la opinión con el poder de Dios, o por algún asunto de preocupación interior que no se haya hecho manifiesto. Después de esto han llegado a nosotros, de algunos de sus grandes y jefes, cartas en las cuales invitan a que se inclinen aquéllas a la paz, haciendo constar nuestra ulterior amistad con ellos y recordando otros motivos de afinidad. Mas no se nos oculta que esto puede ser un asunto que haya tramado en una noche, y su secreto se halle debajo de su sayal. Y nos pareció prudente sondear el fondo y examinar el asunto.

Y enviamos a él, según nuestra costumbre con sus antepasados, para explorar su situación, observar las interioridades de su asunto y examinar el incremento de su gente y su estado de florecimiento. Y esto tuvo lugar y trajo la conferencia acerca del tratado de paz, por cuya causa dispusimos la embajada, nos revestimos de valor, pesamos y meditamos las circunstancias, y nos mostramos fuertes en las condiciones todo lo que nos fué posible. Nosotros esperábamos en esa tregua que Dios otorgaba, obtener los tiempos propicios para hacer que cesasen y se calmasen esos temblores que dañan a las ciudades muslimes, para ganar la ocasión de rechazar esas esperanzas flacas o de hacer la guerra cuanto permitiese su reflexión, hasta tanto que Dios mostrase sus milagros en auxilio de la escasa tropa. No poníamos la causa de nuestro engreimiento en lo que queríamos, ni nos mostrábamos fieros por lo que nosotros realizábamos, sino en haber divulgado vuestra firme resolución de auxiliar al Islam, en la esperanza de ver flotar las enseñas, y en la fe en la invocación al Profeta, sobre él sean la bendición y salvación.

Y, en verdad, la tierra guardada para Dios yá se balanceaba de alegría y la arrogancia se apoderaba de los espíritus y los emocionaba. Mostramos vuestras cartas que garantizaban el cumplimiento de las promesas. Y los caballos tuvieron las riendas sueltas para la guerra santa en el sendero de Dios; los creyentes se dispusieron al cumplimiento de ese precepto de la guerra santa y los buenos muslimes donaron generosamente sus bienes. Mas en esto nos llegó la triste nueva respecto del debilitamiento de las firmes resoluciones que se creían yá en ebullición y de la dilación del cumplimiento de las promesas del auxi-

(1) V. Analectes etc. II, ٧١-٢٣ y cód. Bibl. Esc. 1825 (B) fol. 98 v. y sigs.

llo después de ser tenido como seguro. Pues, en verdad, el cuerpo de ejército levantado con destino a Marraques, parte cuyas riendas tenéis en las manos y cuyos destinos han de tornarse hacia Vos, aunque pase largo tiempo, y a una región que no ha de escaparse de Vos a pesar de la negligencia, cuyo ataque no ha de seros imposible y no ha de pediros que la abandonéis, ni impediros de andar en ella y someterla a vuestra autoridad, porque ha de prosternarse a Vos con las manos extendidas, ese hecho es una falta de las promesas prometidas, ha debilitado las perspectivas esperadas, ha hecho dudar a las inteligencias, ha dado lugar a malos pensamientos, ha motivado que los ojos derramen lágrimas; los virtuosos han tenido por un embuste tal noticia, se han abstenido de tomarla en consideración y han dicho: «no es posible donde existe la religión muslim y el imperio dominante». Y los sabios cuyos juramentos tomó Dios imponiendo el buen consejo sobre sus cervices, dijeron: eso es la hipótesis que le hace distante y lo puesto en pie queda sentado, todo lo cual reprueban Dios y el Islam, los sabios e instruídos, los minaretes y los púlpitos. los esforzados y los grandes.....

Nosotros os pedimos por Dios a quien Vos también suplicáis y por los lazos de parentesco... que abandonéis vuestra suerte entre la gente de esa parte, hasta que Dios resuelva lo que juzgue mejor entre nos y el enemigo que seguramente caerá sobre nosotros tras de vuestras espaldas. después que se mostró pequeño ante vuestra apelación al combate. No nos impulsa en esto más que aproximarnos a vuestra casa, en la cual no os exigirán los muslimes cosa de abuso, sino un justo medio. Pues la parte a donde os dirigis no se os ha de escapar, ni está distante, sus moradas os son vecinas. Unicamente se os escapa lo que detrás de vos sobreviene, de nueva abstención de escuchar a los que mucho os aman, y una deuda por la cual se regocijarán vuestros enemigos...»

V

Cartas de Abulhachach Yúsuf al sultán de Tremecen Abusaid Otman con noticias acerca del enemigo de Castilla

En el códice 1825 (B) de la Biblioteca del Escorial aparecen dos cartas de Abulhachach Yúsuf al sultán de Tremecen Abusaid Otman, hijo del emir Abuzaid, hijo del emir Abuzacaria, hijo del sultán Abuyahya Yagmoracen. Ambas carecen de fecha, pero del tiempo en que reinó dicho sultán y del contexto se saca que hubieron de ser escritas hacia los años 1349-50 y con motivo de la campaña de Alfonso XI de Castilla contra Gibraltar.

En la primera de las cartas referidas, cuyo objeto principal es dar gracias al de Tremecen por el envío de caballos que se ha dignado mandar como presente y en auxilio de la guerra santa contra Castilla, le dice respecto del enemigo (1).

ولم يتزيد عندنا ما نطلع به مقامكم الرفيع لما نعلمه من تشوقكم لاحوال
المسلمين بهذا القطر الا اننا عقدنا في هذه الايام الفارطة السلم مع سلطان
قشتالة واحكمناها • وجدّدنا شروطها ورسمناها • وتم المراد من ذلك بنيّتكم
التي منها يلتمس • ومن بركتها يقتبس • والناس والحمد لله قد شملهم
التمهيد • وتساوى في الامر منهم القريب والبعيد • والله سبحانه المستعان
في جميع الاحوال • والمرجوّ لصلة النوال • هذا ما تزيّد عندنا طالعنا به
مقامكم • وبادرنا به اعلامكم • فعرفونا بما يتزيد لديكم • ويتجدد من فضل
الله عليكم • لنسرّ بوارده • ونتانس بوافده •

«Tan sólo podemos añadir a lo que yá tenemos comunicado a vuestro alto Estado correspondiendo a vuestro deseo de saber las circunstancias de los muslimes en esta región, que nosotros hemos ajustado en estos

(1) Fol. 107.

días transcurridos la paz con el rey de Castilla y la hemos ultimado renovando y sellando sus condiciones, y todo esto ha quedado concluído de conformidad con vuestro deseo que era lo que se demandaba, y con la prosperidad que se apetecía. Y las gentes todas—y Dios sea alabado—han recobrado la normalidad de sus asuntos, siendo iguales en éstos los cercanos y los distantes. Dios, que es alabado, es el verdadero protector en todas las circunstancias y aquél de quien se espera para la continuación de los beneficios. Esto es lo que podemos añadir a vuestro conocimiento y nos apresuramos a hacer sabedor de ello a vuestro Estado. Hacednos saber Vos lo que más sepáis de vosotros y lo que de nuevo os haya sucedido por virtud de Dios, para que nos regocijemos de su acaecimiento y tengamos el placer de recibir con afabilidad su misiva...»

§

También es objeto principal de la segunda carta de Yúsuf a Otmán de Tremecen, agradecerle el envío de un barco con víveres y pertrechos para la guerra con Castilla (1). Más al propio tiempo le notifica como rotas las hostilidades, un cuerpo de sus tropas ha ganado al occidente de Málaga la fortaleza y tierra de Cañete la Real, en donde ha almacenado los víveres que ha tenido a bien enviarle como socorro. Hé aquí el texto y versión del fragmento de la segunda carta, que más nos interesa conocer:

وسنى انك سبحانك بين يدى وصول ما به تفضلتم • وفي سبيله بذلتم • ان فتح جيشنا حصنا من الحصون المجاورة لغربي مالقة يعرف بحصن قنيط من الحصون الشهيرة المعروفة • والبقع المذكورة بالخصب الموصوفة • دفع الله مضرته عن الاسلام واهله • ويسّره بمعهود فضله • فجعلنا في ذلك القطاع الذي وجهتم طعمة حماته • ونفقة رجاله ورماته • اختيارا لك في ارضى المرافق من سبيل التخيير وجهته • واما نحن فان ذهبنا الى تقرير ما عندنا من الثقة • على ملئكم الاصيل الينا • والاعتماد على مقامكم الرفيع العماد • والاستناد الى ولايتكم الثابت الاسناد • لم نبلغ بعض المراد • ولا وفى اللسان بما في الفؤاد • فمن الله نسئل ان يجعله في ذلك •

(1) Fol. 108.

ووسيلة الى مرضاته ، ومرادنا من فضلكم العميم ، وودكم السليم ، ان تحسبوا هذه الجهة كجهتكم فيما يعين من الاغراض ، ليعمل فيه بحسب الودّ الصافي الحياض ، والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام.

«Dios, que es alabado, facilitó, al tiempo de llegar aquello (los víveres de auxilio) que habéis tenido la bondad de enviar y donar generosamente, siguiendo su sendero, que nuestras tropas conquistasen una de las fortalezas próximas al occidente de Málaga, que es conocida por fortaleza de Cañete y es de las más famosas fortalezas y de un terreno renombrado por su particular fertilidad—quiera Dios evitar su pérdida para el Islam y su gente y regocijarle con la garantía de su virtud.—Y en esta fortaleza hemos puesto los víveres que habéis enviado, para manutención de sus defensores y para el consumo de sus peones y arqueros, prefiriéndolos para ella como los víveres más gratos en orden a su bondad. En cuanto a Nos, aunque marchásemos a ratificaros en persona nuestro elogio a vuestra Majestad pura, nuestra adhesión a vuestro Estado noble y nuestro apoyo en vuestra firme amistad, no conseguiríamos ni una parte de nuestro deseo, ni expresaría la lengua lo que se encierra en nuestro corazón. Y a Dios pedimos que lo ponga ante sí y lo haga motivo de su satisfacción. Nuestro deseo cerca de vuestra omnímoda Excelencia y de vuestro puro amor es que consideréis esta región como vuestra para todo propósito que sea especificado, a fin de realizarlo conforme al amor más puro. Y Dios haga duradera vuestra dicha y guarde vuestra gloria. Y salud.»

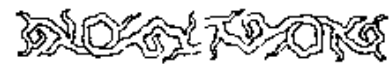

VI

Dos cartas de Abulhachach Yúsuf a Abuinan Fáres, comunicándole noticias de D. Pedro I de Castilla

La primera de las cartas que doy en este artículo, hecha omisión de sus primeras partes de mera salutación y cortesía, aparece sin fecha como las más de las contenidas en los manuscritos de que puedo servirme. Mas por su contexto general y por los sucesos concretos y de fecha conocida que notifica, es de creer con toda certeza que hubo de ser escrita en la primavera del año 1351 y que el rey de Castilla a que en ella se alude, no era otro que el llamado D. Pedro el Cruel. Comienza Abulhachach Yúsuf en la carta de referencia, felicitando a su colega de Fez, Abuinan, por la buena marcha de sus negocios, especialmente de su empeño en someter a su autoridad toda la mayor parte posible del Mogreb, dilatando su imperio a costa de la destrucción de los otros principados, siguiendo la misma política de su padre Abulhásan.

De seguida comunica Yúsuf a Abuinan que en los mismos días en que le escribe, el rey de Castilla ha marchado a las villas de *Chuguan Manuguel* بلاد جوان منوال, según la lectura que juzgo más acertada de las antedichas palabras, escritas con vacilante torpeza por los copistas de ambos códices escurialenses, caso muy frecuente cuando se trata de nombres propios o geográficos algo raros. Y añade el sultán granadino que el señor de las villas susodichas ha fallecido y que el rey de Castilla marcha a ellas para entender en su gobierno por haber vuelto a su obediencia y concordia, en virtud de la paz que ha hecho con su hermano, el Conde que había estado en guerra con él. Ahora bien; leyendo las crónicas e historias de D. Pedro I de Castilla, se anota en todas ellas como hecho saliente, aquel de su salida de Sevilla en la primavera del año 1351, guiado por Alburquerque, su ministro favorito a la sazón, hacia las partes de Extremadura, Valladolid, Burgos y Señorío de Vizcaya, del cual era dueño D. Juan Núñez de Lara, fallecido precisamente poco antes de la llegada del rey a su feudo. Y se sabe, en efecto, que don Pedro realizó esa jornada con el fin político de imponer el reconocimiento de su soberanía en todas aquellas regiones que se habían seña-

lado por la rebeldía a su causa. De donde resulta claro que Yúsuf al decir las villas de Chuguan Manuguel, quiere significar el Señorío de Vizcaya, de que era señor D. Juan Núñez de Lara.

Además el sultán de Granada revela en la carta en cuestión, a su amigo de Fez que el de Castilla le pide fuertes auxilios para su empresa proyectada de someter a su autoridad el castillo de *Boley*, nombre que dieron nuestros moros al actual Aguilar de la provincia de Córdoba. Y en efecto, las crónicas de D. Pedro le anotan ese propósito al salir de Sevilla, y arreglados los asuntos de Vizcaya, sabemos que en el mismo año vino a cercar el referido castillo de Aguilar y lo recobró por fuerza de armas con muerte de su bravo defensor D. Alonso Coronel.

Dice así la carta de referencia, en su parte más sustanciosa:

وأني[1]) هذا أيد الله امركم ، واعزّ نصره ، لما شرح لشكر انعمه صدركم ، واعلى باضمار ما يرضيه[2]) امركم ، فانّنا ورد علينا كتابكم الكريم[3]) الوفاه ، العميم الافده[4]) ، الذي رقمته اطراف اليراع ، وافصاح الصناع ، وجادته سحايب الابراع ، فجاء روضة ذات ايناع ، وما[5]) على الصبح غطا ولا على الشمس قناع ، تعرّفون اتّساف أطلعه ، وخطبه البلاد الافريقية لامرتكم المطاعه ، وما كان من دخول اشياع القبايل الذين سمّيتم في دينها افواجا ، وان دوا السياسة الفرنسية اوسع ادوايها علاجا ، وملا القلوب بها بعد الهمّ ابتهاجا ، وانكم اعدتم حاجبكم الى سدّ مدينة بجاية بعد القدوم عليكم بمن خلصت فيه من اعيانه ، وما اعتمدتم به قلل المشيخة من احسانها ، وما ضمن وليكم الشيخ ابو يعقوب بن مرني من اصلاح شانها ، وتمهيد اوطانها[6]) ، واطفاء نار عدوانها ، وصرف العوايم[7]) ومده وان تشوقتم الى ما تريّد في هذا البلاد من الاخبار ، بما يقتضيه فضلكم الباهر الانوار ، فاعلموا أن صاحب قشتالة توجّه في هذه الايام الى بلاد جوان منوال[8]) التي هلك صاحبها ، وانتبست مذاهبها ، لينظر في مصرف امرها الذي رجعت اليه ، واحكامها التي توقفت عليه ،

1) Cód. 1712 (A) fol. 27 y sigs. y 1825 (B) fol. 115. 2) En B يرتضيه. 3) Falta en A. 4) Faltan en B las dos palabras precedentes. 5) En B ورمى. 6) En A faltan las dos palabras precedentes 7) En B واطفاء نارها بدرانها por las dos expresiones de A que van en el texto. 8) En B منوال; en A منول.

بعد ان صالح القند اخاه الذي كان له حربا ، وعليه البا ، ووجه الينا رسوله يعرفنا بعزمه على الخروج الى منازلة حصن بلي[1]) المخالف لطاعته ، الخارج عن حكم جماعته ، ويطلب منّا مددا كبيرا[2]) من الرماة والرجال ، واعانة على القتال ، فراجعناه بانّنا انّما نقف في المدد عند ما وقع به الشرط ، وتضمّنه العقد والربط ، من تعيين ثلاثماية من الفرسان يكونون في جملة اتّباعه ، يستظهر بهم على من يخالف من اشياعه ، بطول ثلاثة اشهر من العام الذي يتوجّه فيه اليهم احتياجه ، ويصحّ في تعيّنه[3]) بسبب الصلح احتجاجه[4]) ، ويوم كتبنا هذا كان رسولنا اليه متوجها في هذه الامور والله يطلع على ما يكون فيه للاسلام سبب الظهور ، عرّفناكم بذلك عملا على برّكم المأثور وما يتزيد فمقامكم يطالع به صلة السبب[5]) البر بسببه والسلام الكريم يخصّكم ورحمة الله وبركاته.

‹Y a esto- Dios asista a vuestro gobierno, os favorezca con su auxilio, así como se ensancha vuestro pecho agradeciendo sus beneficios, y ensalce vuestro imperio con un designio que le sea grato—ha llegado a Nos vuestra carta de ilustre misiva, de general utilidad a la cual bordan las puntas de las cañas y los estanques del arte y le hacen sobresalir en mérito las nubes y viene a ser un jardín dotado de frutos prontos a madurar, y no se oscurece a la hora del alba ni se cubre con el velo al tiempo del sol, en la cual carta nos hacéis saber la ordenada obediencia y sumisión de las ciudades de Ifriquia a vuestra autoridad digna de ser obedecida, mas lo de la entrada en ella por grupos, de los jeques de las cábilas a quienes habiais invitado. En verdad, si la administración *farisi* produce alguna enfermedad, más considerables son sus remedios curativos, y los corazones por ella se llenan de alegria después de la preocupación. Y vos (nos manifestáis también) como hicísteis volver a vuestro canciller al azud de la ciudad de Bugía después de haberse presentado a vos con sus notables de sana intención; los beneficios especiales con que la habéis distinguido y todo cuanto ha asegurado vuestro gobernador el jeque Abuyacub, hijo de Mozaní respecto de la buena marcha de ella, la perfecta disposición de sus moradas, la extinción del fuego de su enemistad y la pureza de sus firmes resoluciones.

1) En A يلي; en B بلي. 2) En B كثيرا. 3) En B تعيينه 4) En B احّياجه. 5) En A لسبب.

Si deseas saber las novedades que más hayan sucedido en estas ciudades, como es debido a vuestra brillante Excelencia, sabed que el rey de Castilla ha marchado en estos días a las ciudades de *Chuguan Manuguèl*, cuyo señor ha perecido y cuyos caminos se han puesto oscuros, a fin de entender en el despacho del gobierno de ellas que tornó a él, y de los poderes de ella, que dependían de él, después de haber hecho la paz con el conde su hermano que se le declaró en guerra y rebeldía.

Y nos ha enviado un embajador suyo para hacernos saber su propósito firme en poner sitio al castillo de Aguilar, que se opone a su obediencia y se ha hecho independiente de su autoridad, y para pedirnos grandes socorros de arqueros y peones y auxilio para combatirlo.

Mas le hemos contestado que Nos únicamente estamos obligados respecto de socorros, conforme a lo que fué acordado y ratificado por los pactos, a enviar 300 jinetes para que sirvan entre sus bandas, y de los cuales puede auxiliarse contra aquellos de sus partidarios que se alien contra él durante un período de tres meses del año, en que reclame la necesidad que tenga de ellos y sean válidos los motivos que alegue en su determinación, por causa de la paz. Y este mismo día en que os escribimos ésta, ha marchado hacia él nuestro embajador con estos negocios, y sólo Dios sabe aquello en que esté para el Islam la causa del predominio. Os comunicamos todo esto en gracia a vuestra amistad sincera reconocida, y todo cuanto ocurra de nuevo, lo conocerá vuestro Estado por fusión del afecto sincero con vuestra causa; y la salutación noble os sea tributada, y la misericordia de Dios y sus bendiciones.

§

También carece de fecha la carta cuyo fragmento, interesante para nuestra historia, doy a continuación. Mas es fácil inferir de su contenido, que hubo de ser escrita en el año 1354, acaso poco antes del fin trágico de su autor. En esta segunda carta comunica el sultán de Granada, Yúsuf a Abuinan Fáres respecto de los cristianos de España, que el rey de Castilla aprovechándose contra sus hermanos, del partido que tiene con los muslimes, a marchas forzadas fué a poner sitio a su hermano Almixar [المبشر sic], señor de Cántarat Assaif (puente de la espada, que así llamaban nuestros moros a la famosa fortaleza de Alcántara de Extremadura, sobre el río Tajo), en la ciudad de Segura; pero después de ocho días de cerco, se había retirado sin conseguir su propósito.

Es indudable que el sultán granadino hace aquí referencia al hecho consignado en nuestras crónicas castellanas, de la rápida marcha del infante D. Fadrique (que es el المبشر del texto árabe), atravesando desde

Extremadura hasta encerrarse en la fortaleza de la ciudad de Segura, al tiempo de la nueva insurrección contra su hermano D. Pedro I, en la cual aparece confabulado contra éste con el bastardo D. Enrique (el llamado hermano Conde en los textos árabes) y el propio Alburquerque, caído ya en desgracia de su señor.

D. Pedro, según la crónica castellana, corrió en efecto a dar caza a su hermano. Mas le fué imposible rendir la ciudad por su poderosa fortaleza, y hubo de retirarse.

He aquí el texto y versión del fragmento referido:

وان[1]) تشوقتم الى اخبار النصارى فلم يرد بعد ما تقدم به اعلامكم الا ان طاغيتهم راى ان يعاجل من اخوته من له ببلاد المسلمين اتصال • وفي الاستبصار بهم مصال • ويكون منه نما سوى ذلك متحن يستدرك أمره بعد الوقت اغفال • فطوى المراحل ونازل اخاه المبشر صاحب قنطرة السيف بمدينة شقورة واقام عليه ثمانية ايام بين قتال لم يجد[2]) مع منعة المدينة معنى • ومرام صلح ابى الله أن يتسنى • واتصل به غيات من خلف وراء ظهره في ارضه[3]) • وقلال بعضه • والحمد لله ببعضه • فارتحل عن منزله الذي نزله • ورجع ادراجه[4]) ولم يبلغ امله • هذا ما عندنا في شانه وما نريد تعرفكم به لمكانه • ونحن على ما يجب لاخوتكم من التعظيم والاجلال • والثناء بما لكم من الشيم الكريمة والخلال • وهو سبحانه يبلغ الجميع من مرضاته غاية الامال • فهو ولي الاجابة وملجا السوال • والسلام الكريم عليكم[5]) ورحمة الله وبركاته.

Si deseáis saber de los cristianos, después de la información anterior que se os ha hecho, únicamente hay que añadir que su rey ha creído conveniente reclamar la unión de aquellos de sus amigos que tenía en las ciudades de los muslimes y poner los lazos para observarlos, y seguramente no es de esperar que esa prueba le sirva para arreglar su asunto, después del tiempo del descuido. Mas emprendió la jornada y puso sitio

1) Cód. 1825 (B) fol. 103 v. y 1712 fol. 42, en que se expresa el motivo de la carta y los nombres del autor y destinatario, circunstancia última que aparece omitida en B, si bien se sobreentiende. 2) En B يوجد. 3) En B ظهره. 4) En B وكر ادراجه. 5) En A يخصكم

a su hermano *Almixar* (sic) señor de Cántarat As-saif, en la ciudad de Segura, y permaneció ante ella ocho días, entre el combate que no le dió éxito por la fortaleza de la ciudad, y entre el deseo de la paz—quiera Dios hacer que no le sean prósperos los asuntos, le haga saber los auxilios de los que dejó tras de sí en su tierra, y la matanza de unos con otros.—Y se retiró del campo que había asentado, y volvió sobre sus pasos sin conseguir su esperanza. Esto es lo que sabemos acerca de su negocio, y lo que más podamos saber, os lo comunicaremos en cuanto sea. Nos estamos, entre tanto, tributando a vuestra Fraternidad la consideración y ensalzamiento y los elogios que le son debidos por vuestra nobleza de sentimientos. Y Él, que es alabado, hará que toda su satisfacción sea que se consiga el extremo de las esperanzas. Él es el dueño de la respuesta favorable y el refugio de las demandas. Y la salvación ilustre sea sobre Vos y la misericordia de Dios y sus bendiciones.»

M. Gaspar Remiro.